﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: 15]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبة بين شهوات الدّنيا ومتعها، وبين ما عند الله في الجنان

أحَدها: أنَّ اللّه تعالى لمَّا ذكر أنَّ عِنْدَهُ حسنَ المآب، فقالَ: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾؛ بيَّنَ سُبحانه هُنَا أنَّ ذلك المآبَ كما أنَّه حسنٌ في ذاتِه؛ فهو أحسنُ وأفضلُ من هذه الدُّنيا، فقال: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾.

ثَانِيهَا: أنَّ اللّه تعالى لَمَّا عدَّدَ المشتهياتِ في الدُّنيا؛ بيَّن في هذه الآيةِ أنَّ منافعَ الآخرةِ خيرٌ مِنْهَا، وأنَّ أمرَ العبدِ في الدُّنيا مهما كان حسنًا منتظِمًا؛ فإنَّ أمرَ الطَّائعينَ في الآخرةِ خيرٌ وأفضلُ[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿جَنَّٰتٌ﴾: الجيمُ والنُّون: أصلٌ يدُلُّ على السَّتْرِ، وَمِنْهُ: الجَنَّةُ في الدُّنيا، وهي الْبُسْتَان؛ لأنَّ الشَّجرَ بِوَرَقِهِ يَسْتُرُ، والجَنَّةُ في الآخرة: ثَوَابٌ مَسْتُورٌ عَنَّا الْيَوْمَ[2].

والجَنَّة: الحديقَةُ ذَات الشَّجَرِ وَالنَّخْل.

وفرَّقَ أَبُو عَلِيٍّ بينَ الحديقةِ والجَنَّة: بأنَّ الجنَّةَ في كَلَام الْعَرَب لا تُسمَّى كَذَلِكَ إِلَّا إِذَا كان فِيهَا نَخِيلٌ وعِنَبٌ، فَإِن لَم يَكُنْ فِيهَا ذَلِكَ، وَكَانَت ذَاتَ شَجَرٍ؛ فَهِيَ حديقةٌ، وَلَيْسَت بجَنَّةٍ[3].

2) ﴿وَأَزْوَٰجٌ﴾: الزَّاي والواوُ والجيمُ: تدلُّ تصاريفُهَا عَلَى مقارنَةِ

(1) الرَّازِيّ، مفاتيح الغيب: 7/164.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جنن).
(3) ابن سِيده، المحكم: (جنن).

شيءٍ لشيءٍ[1]، أو على تداخُلٍ بَيْنَ شَيْءٍ وآخَرَ حَتَّى يَشْتَبِكَا، وَيَخْتَلِطَا، ويَرْتَبِطَا مَعًا، كالذَّكَرِ بِالْأُنْثَى، ولَا يُطْلَقُ على شيءٍ مَا أنَّه زَوْجٌ إلَّا إذا كان مرتبطًا بآخرَ ارتباطًا ماديًّا أو معنويًّا[2].

ومِنْهُ زَوْجُ المرأةِ: وهو بَعْلُها، وزَوجُ الرَّجُلِ: امرأتُه، ويُقال أيضًا: زوجَتُهُ، والجمع: أزواجٌ وزوجاتٌ، ومنه قولُ اللّه تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤﴾ [الدُّخان: 54]، أي: قرنَّاهُمْ بِهِنَّ، وقولُهُ سُبحانه: ﴿۞ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصَّافَّات: 22]، أَيْ: وَقُرَنَاءَهُمْ[3].

3) ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾: الطَّاءُ والهاءُ والرَّاءُ: تدور اشتقاقَاتُهَا على معنَى النَّقاءِ وزوالِ الدَّنَسِ، ومنهُ التَّطَهُّرُ، وهو التَّنَزُّه عَنِ الذَّمِّ وعن كلِّ قبيحٍ[4].

والطَّهارَةُ نوعانِ: طهارَةُ جِسْمٍ، وطهَارَةُ نَفْسٍ[5]، فمن الأوَّلِ قولُ اللّه تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة: 6]، ومن الثَّاني قولُ اللّه سُبحانه: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٨٢﴾ [الأعراف: 82].

والتَّطهُّر في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ جامعٌ لمَعْنَيَي الطَّهارةِ الحسِّيَّةِ والمعنويَّة.

4) ﴿وَرِضْوَانٌ﴾: الرَّاء والضَّادُ والحرف المعتلُّ: تدلُّ تصريفَاتُهَا على ضدِّ السُّخْطِ[6]، وَرِضَا الْعَبْدِ عَنِ اللّهِ تعالى: أَلَّا يَكْرَهَ مَا يَجْرِي بِهِ قَضَاؤُهُ، وَرِضَا اللّهِ سُبحانه عَنِ الْعَبْدِ: صفةٌ من صفاتِهِ اللَّائقة بجلالِهِ وعظَمَتِهِ، وسبَبُها: رؤيةُ اللّه تعالى لعبدِهِ مُؤْتَمِرًا لِأَمْرِهِ، ومُنْتَهِيًا عَن نهيِهِ[7].

وَالرِّضوانُ - بِكَسْرِ الرَّاء وضمِّها - اسْمٌ مُبَالَغَةٍ في مَعْنَى الرِّضَا[8]، فالرِّضوان: الرِّضا الكثيرُ، ولَمَّا كانَ أعظَمُ الرِّضَا هُوَ رِضَا اللّهِ تَعَالَى؛ خُصَّ لفظُ الرِّضْوَانِ الوارد في الْقُرْآنِ الكريم بِمَا كَانَ مِنَ اللّهِ سبحانه، ومنه قوله جلَّ وعلا: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾[9].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (زوج).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (زوج).
(3) الجوهريُّ، الصحاح: (زوج).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (طهر).
(5) الرَّاغب، المفردات: (طهر).
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (رضي).
(7) الرَّاغب، المفردات: (رضي).
(8) المُنَاويّ، التَّوقيف: (رضي).
(9) الرَّاغب، المفردات: (رضي).

5) ﴿بَصِيرُۢ﴾: الباءُ والصَّادُ والرَّاءُ: تدلُّ أكثرُ اشتقاقاتِهَا على العِلْمِ بالشَّيءِ، يقال: هو بصيرٌ به، أي: عليمٌ[1]، ومِنْهُ إطلاقُ البصَرِ على الإدراكِ بالعَيْنِ والإدراكِ بقوَّةِ القَلْبِ؛ إذْ بِكِلَيْهِما يحصلُ العلمُ[2].

والبصيرُ: فعيلٌ بمعنَى: مُفْعِلٍ، مثلُ أليمٍ بمعنى: مُؤلِمٍ[3]، والبصيرُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تعالى: الَّذِي أَحَاطَ بَصَرُهُ بِجَمِيعِ الْمُبْصَرَاتِ فِي أقطارِ الْأَرْضِ والسَّمواتِ[4].

## ❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

متاع الجنّة خالص للمؤمنين، ومتعه لا تنغيص فيها ولا تبخيس

قُلْ - يا أيُّهَا الرَّسولُ ﷺ -: أَأُخْبِرُكُم وأُعْلِمُكُمْ بِخَيْرٍ وأَفْضَلَ لَكُمْ مِمَّا زُيِّن لكم في الدُّنيا حبُّ شَهْوَتِهِ الَّذي هُوَ متاع الحياة الدُّنيا؟ لِلَّذِينَ خَافُوا اللهَ تعالَى، فَأَطَاعُوهُ بامتثال المأمورات واجتنابِ المنهيَّات؛ لهم جنَّاتٌ تَجْرِي مِن تحتِ قُصُورِها وأشجارِهَا الْأَنْهَارُ، خالدينَ فِيهَا، ولَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَاتٌ مِنَ الأذَى الحسِّيِّ -كالحيض - والأذى المعنويِّ - كسُوءِ الخُلُقِ - ولَهُمْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ: وهو رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ تعالى، واللهُ سبحانَه مطَّلِع على سَرَائِر خَلْقِهِ، عَالِمٌ بجميعِ أَحْوَالِهِمْ، وسَيُجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ[5].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

**سَبَبُ فَصْلِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿*قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ:**

انْحِطَاطُ رُتْبَةِ مُشْتَهَيَاتِ الدُّنْيَا عَنْ لَذَّاتِ الْآخِرَةِ

فُصِلَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿*قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ عمَّا قبلُ؛ لوقوعِهِ استئنافًا بيانيًّا - وهو المعروفُ بشِبْهِ كمال الاتِّصال - وذلك لوُرُودِهِ جوابًا عن سُؤالٍ يُفْهَمُ ممَّا قبلَهُ؛ فإنَّ قولَه سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ مسوقٌ مَسَاقَ الغَضِّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بصر).
(2) الرَّاغب، المفردات: (بصر).
(3) الزَّجَّاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص: 42.
(4) السّعديّ، تفسير أسماء الله الحسنى، ص: 174.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 6/243 - 262. ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 51.

والإنقاصِ من هذه الشَّهواتِ[1]، فكأنَّ المُتَلَقِّيَ سأل: إذا كانت هذه المذكوراتُ مِمَّا طُبِعَ النَّاسُ على حُبِّهَا والشَّغَفِ بها غُضَّ من رُتبَتِهَا، فما أعظَمُ من ذلك وأفضلُ؟ فجاء الجوابُ: ﴿۞قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾.

**نُكْتَةُ افْتِتَاحِ جُمْلَةِ الِاسْتِئْنَافِ ﴿۞قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ بِـ﴿قُلْ﴾:**

وُلُـــوجُ بَـــابِ الْـــخَـــيْرَاتِ لِتَحْصِيلِ ثَوَابِهَا الْمَفْتُوحُ لِعُمُومِ الْمَخلوقات

افْتُتِحت جملةُ الاستئنافِ ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ بفعل الأمر ﴿قُلْ﴾ للاهتِمَامِ بالمَقُولِ، وتَنْبِيهِ المتلقِّينَ إِلَى أنَّ ما سَيُلْقَى عَلَيْهِمْ أَمْرٌ يَهُمُّهم[2].

والمخاطَبُ في ﴿قُلْ﴾ هو النَّبِيُّ[3] ﷺ لكونِهِ مقدَّمَ الأمَّةِ وأشرفَهَا، وليكون توجيهُ الخطابِ إليه أبلغَ في ترغيب أهلِ الإيمان في الإقبالِ على ما يُحصِّلونَ به هذه اللَّذَّاتِ الأخرويَّةَ.

ولم يُنَصَّ علَى المقولِ لَهُمْ؛ قصدًا لإرادةِ العموم[4]؛ إذ إنَّ حذفَ المتعلَّق مؤذِنٌ بذلك، ويُقَوِّي إرادةَ العموم التَّعبيرُ بضميرِ الجمع (كُمْ) من ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾؛ ففيه أنَّه يَدْعُوهُم جَمِيعًا للاستِمَاعِ إِلَى مَا سَيُخْبِرُهُم بِهِ[5].

وفي هذا: دِلالةٌ على سعةِ رحمةِ اللهِ تعالى وكرَمِهِ حيثُ فتَحَ بابَ الخيراتِ لمن رغِبَ في دخولِهِ والانتظامِ في سلْكِ أهل التَّقوَى.

**دِلَالَةُ الِاسْتِفْهَامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿۞قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾:**

الْـــوَارِدُ بَـعْـدَ الطَّلَبِ أَعَـزُّ مِنَ الْمُنْسَاقِ بِلَا تَعَبٍ

الهمزة في ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ للاستفهام، والاستفهامُ هنا ليس على ظاهرِهِ من إرادةِ طلب علمِ بشيءٍ لم يكن معلومًا من قبلُ، وإنَّما خرجَ إلى معنَى التَّشويقِ[6]؛ لِتَتَشوَّفَ النُّفوسُ إلى معرفةِ ما شُوِّقت

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/183.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/183. وطنطاوي، التَّفسير الوسيط: 2/51.
(3) إسماعيل حقّي، روح البيان: 2/10.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/15.
(5) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1140.
(6) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/15. وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/184.

إليه، فيَرِدُ الإخبارُ على نفسٍ مُسْتَشْرِفَةٍ له متطَلِّعةٍ إليه، فيتمكَّن منها غايةَ التَّمكُّنِ؛ ولذا شاعَ عند أهل العلم قولُهم: الْوَارِدُ بَعْدَ الطَّلَبِ أَعَزُّ مِنَ الْمُنْسَاقِ بِلَا تَعَبٍ.وفي هذا التَّشويق: إيماءٌ إلى عظيم شأنِ هذا الخبرِ وجليلِ منزلَتِهِ.والنَّبَأُ: هُوَ الْخَبَرُ الْعَظِيمُ.ويُؤَيِّدُ هذا التَّعظيمَ: التَّعبيرُ عنه بلفظ الإنباء دونَ الإخبار؛ إذِ الإنباءُ: هو الإخبارُ عن أمرٍ عظيم[1].

**نُكْتَةُ تَنْكِيرِ ﴿بِخَيْرٍ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿*قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾:**

عَظَمَةُ مَا أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ النَّعِيمِ لِأَهْلِ التَّقْوَى

نُكِّرَتْ كلمةُ ﴿بِخَيْرٍ﴾ من قَوْلِ الله تعالى: ﴿*قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾؛ لإرادةِ تفخيم شأنِهِ وتعظيم قدرِهِ وزيادةِ التَّشويقِ إليه[2]، وسوَّغَ هذا: ما في النَّكرةِ مِنَ الإبهامِ الصَّالحِ لإفادةِ التَّفخيم.

**سِرُّ الِالْتِفَاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿*قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾:**

شَرَفُ الْمُتَرَفِّعِ عَنِ اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ إِيثَارًا لِمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعطاءات

في قولِه تعالى: ﴿*قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ التفاتٌ من الغَيبةِ إلى الخطاب؛ وذلك أنَّه تقدَّم قولُه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ والاسمُ الظَّاهرُ بمنزلَةِ الغائب، ثُمَّ التُفِتَ عن ذلك إلى الخِطَابِ في قوله: ﴿*قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾؛ حكايةً لِلَفْظِ ما يُقالُ لهم، وفيه أيضًا تقويةٌ وتشريفٌ لنُفوسِ تاركِي اتِّباعِ الشَّهواتِ إيثارًا لما عندَ الله تعالى مِن حُسن المآب[3].

**دِلَالَةُ اسْمِ الْإِشَارَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿*قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾:**

اللَّذَّاتُ الدُّنْيَوِيَّةُ مَهْمَا عَظُمَتْ عِنْدَ النَّاسِ؛ فَمَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى خَيْرٌ وَأَبْقَى.

اسمُ الْإِشَارَةِ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ من قَوْلِ الله تعالى: ﴿*قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ دالٌّ على البُعْدِ، وفي ذلك إيماءٌ إلى عظمةِ تلك المُشْتَهَيَاتِ عِنْدَ النَّاسِ، وقَرْنُ اسمِ الإشارةِ بميم الجمعِ زيادةٌ في هذا التَّعظيم[4].

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1140. وطنطاوي، التَّفسير الوسيط: 2/51.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/15. وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1141.
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/55.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/276.

وفي هَذا إشعارٌ بأنَّ عظمةَ ما عندَ اللهِ تعَالى مِنَ الجَزَاءِ الْحَسَنِ لِأَهْلِ التَّقوَى يَفُوقُ ما يَخْطُرُ في قُلُوبِ الْعِبَادِ، فإنَّ تلك اللَّذَّاتِ الدُّنيويَّةَ مَهْمَا عَظُمَ شأنُهَا؛ فإنَّ ما عندَ اللهِ تَعَالَى خيرٌ.

**سَبَبُ فَصْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ:**

فُصل قولُ اللهِ تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾ عمَّا قبلَهُ؛ لوقوعِهِ استئنافًا بيانيًّا[1]، وذلك أنَّ قولَه سبحانه: ﴿۞قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ يَبْعَثُ في نفُوسِ المتلقِّين لهُ سؤالًا، وهو: ما الَّذي خيرٌ مِنْ ذلكم؟ فجاء الجوابُ: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾.

أَثَرُ الِاسْتِئْنَافِ الْبَيَانِيِّ فِي إِبْرَازِ مُتَابَعَةِ الْمُتَلَقِّي وَشَوْقِهِ

**تَعْرِيفُ مُتَعَلَّقِ الْمُسْنَدِ بِالْمَوْصُولِيَّةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾:**

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ متعلَّق بخبرٍ محذوفٍ مقدَّم[2]، وعُرِّفَ بالْمَوْصُولِيَّةِ للإيماءِ إلى علَّةِ الجزاءِ الَّذي وُعِدُوا بِهِ، وهو تقواهُم للهِ تعالى، وفي هذا تحريضٌ للنَّاسِ وحثٌّ لَهُمْ على التَّحلِّي بالتَّقوَى والاندراجِ في سِلْكِ أهلِهَا؛ ليحصُلَ لَهُمْ مِنَ الوَعْدِ مثلُ ما حصَلَ لِلْمتَّقينَ، وفي تقديمِ الخَبَرِ اهتمامٌ بشأنِ المُتَّقينَ وتشريفٌ لهم وتعظيمٌ لقدرِهِم ومَنْزِلَتِهم، وكونُ الصِّلَةِ فعلًا ماضيًا ﴿ٱتَّقَوْاْ﴾ إشعارٌ بتحقُّقِهم بالتَّقوَى ورُسُوخِ قدَمِهم فيها.

تَقْوَى اللهِ تَعَالَى سَبَبٌ لِكُلِّ خَيْرٍ

**نُكْتَةُ حَذْفِ مَفْعُولِ ﴿ٱتَّقَوْاْ﴾ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾:**

الفِعْلُ ﴿ٱتَّقَوْاْ﴾ متعدٍّ، وقد حُذف مفعولُهُ، وفي نكتةِ ذلك مسلكَانِ:

أحدُهما: أن يكون حذفُهُ مشعرًا بالعموم؛ إذ إنَّ حذفَ المعمولِ مؤذِنٌ بذلك، والمعنى: أنَّهم اتَّقوا كلَّ ما أُمِرُوا باتِّقائِهِ؛ وذلك بفعلِ الأوامرِ واجتنابِ النَّواهي.

حَقِيقَةُ التَّقْوَى فِعْلُ الْأَوَامِرِ، وَاجْتِنَابُ النَّوَاهِي

والآخَرُ: أن يكون الفعلُ المتعدِّي نُزِّلَ منزلةَ اللَّازمِ، فلم يَحْتَج إلى مفعولٍ أصلًا، فمعنى: ﴿ٱتَّقَوْاْ﴾ الَّذين اتَّصفوا بالتَّقوى[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/276.
(2) الدّعَّاس، إعراب القرآن: 1/126.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/276.

وهما وجهانِ متآيِلَانِ؛ لأنَّ مَن فعَلَ الأوامرَ، واجتنب النَّواهِيَ مُتَّصفٌ بالتَّقوى متحقِّقٌ بها.

**دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالِاسْمِ الْأَحْسَنِ (الرَّبِّ) مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾:**

مِنْ مُقْتَضَيَاتِ رُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَى لِخَلْقِهِ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِمْ

في اختيارِ الاسم الأحسن (الرَّبِّ) في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾ تعظيمٌ لِمَا لأهل التَّقْوَى في الآخرةِ، وترغيبٌ بِلَفْتِ القولِ إلى صفةِ الإحسانِ المقتضيةِ تربيةَ الصَّدقاتِ وغيرِها مِنَ الأعمال الصَّالحة، فالرَّبُّ هُوَ المحسنُ إليهم بِلِبَاس التَّقوى الموجِبِ إيثارَهُم الآخرةَ على الدُّنيا[1].

وقُدِّمَ الظَّرْفُ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ زيادةً في تعظيمِ شَأْنِ الجزاءِ المُعَدِّ لهم.

وإضافةُ الاسْمِ الأحسَنِ إلى الضَّمير الرَّاجعِ للمتَّقين تفخيمٌ لِمَكانَتِهم ورفعٌ لقَدْرِهِمْ، وإعلامٌ بأنَّ ما يلقونَهُ مِنَ الجزاء الحسنِ هو مِن إحسان ربِّهم سبحانه وتعالى بهم[2].

**دِلَالَةُ جَمْعِ الْجَنَّاتِ وَتَنْكِيرِهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾:**

كَثْرَةُ الْجَنَّاتِ وَتَنَوُّعُهَا فِي الْآخِرَةِ؛ لِاخْتِلَافِ دَرَجَةِ الْمُتَّقِينَ

جُمِعَتِ الجَنَّاتُ في قوله ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾ إشعارًا بتعدُّدِهَا وكثرتِهَا؛ وذلك أنَّ الجنَّةَ في الآخرةِ مشتملةٌ على جِنَانٍ كثيرةٍ، ونُكِّرت ﴿جَنَّٰتٌ﴾ إيماءً إلى تنوُّعِهَا واختلافِهَا.

وكثرة الجنَّاتِ وتنوُّعُها هُوَ بِحَسَبِ دَرجاتِ أهل التَّقوى، فإنَّهم في رُتَبٍ متباينَةٍ حسَبَ تحقُّقِهم مِنْ كَمالَاتِ التَّقْوَى.

**دِلَالَةُ وَصْفِ الْجَنَّاتِ فِي قَوْلِهِ: ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾:**

وُصِفَت الجنَّاتُ بكونِهَا ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ مدحًا لها، وتزيينًا لها في قلوبِ العبادِ؛ ليكونَ ذلك أدعَى للتَّزَيِّي بِزِيِّ التَّقوَى.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/277.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 2/98.

ووجهُ المدحِ بالوصفِ: أنَّ أَحْسَنَ المياهِ هُوَ ما كَانَ جَارِيًا؛ لأنَّ ذلك يَقْتَضِي كونَه جَديدًا كلَّما اغْتُرِفَ، أَوِ اغتُسِلَ منهُ.

جَـمَـالُ مَـا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الجنّة، ممّا لا عـينٌ رأت، ولا أذن سمعت

وَأَصْلُ الْجَرْيِ في كلامِ العربِ: شِدَّةُ سُرعةِ الْمَشْيِ، وإطلاقُهُ على سَيَلانِ الماءِ سَيْلًا متكرِّرًا مُتَعَاقِبًا: مَجازٌ[1]، وفي تخريجِهِ مَسْلَكَانِ:

أحدهما: أنَّه مجازٌ بِالاسْتِعَارَةِ، ووجهُهُ: أنَّه شُبِّهَ سيَلَانِ الماءِ سَيْلًا مُتَكرِّرًا متعاقِبًا لشِدَّةِ سُرعةِ المشيِ؛ لجَامِعِ سُرعةِ الانْتِقَالِ والحركةِ في كلٍّ مِنْهُمَا، فيكونُ مِنَ الاستعارَةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّةِ.

والآخَرُ: أنَّه مجازٌ مُرسَلٌ بعلاقةِ الإطلاقِ والتَّقْيِيدِ، فأصلُ الجريِ: شدَّةُ سُرعةِ المشيِ، ثُمَّ أُطلِقَ عَنْ قَيْدِ المشيِ، واستعمِلَ في شِدَّةِ السُّرعةِ مطلقًا.

وهو على كِلَا الوَجْهَيْنِ أدخَلُ في مَدْحِ الماءِ الجاري؛ لاقْتِضَائِهِ المُبَالغةَ في جِدَّتِهِ بشدَّةِ جَرْيِهِ.

**دِلَالَةُ اللَّامِ فِي ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾:**

أَنْـهَـارُ الْـجَـنَّـةِ نِعْمَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ، يـتـنـعّـم بـهـا المتّقون

اللَّامُ في ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ من قولِ اللهِ تعالى: ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ لِتَعْرِيفِ الجِنْسِ[2]، فتَكُونُ في قوَّةِ النَّكرةِ.

ويَحْتَمِلُ أن تكون اللَّامُ لِلْعَهْدِ التَّقديريِّ؛ وذلك أنَّه لَمَّا ذُكرتِ الجنَّاتُ؛ اسْتَحْضَرَ السَّامعُ لوازمَها ومقارناتِها، "فساغَ لِلْمُتَكَلِّمِ أن يُشير إلى ذلك المعهُودِ، فَجِيء باللَّام"[3]، ويَحْتَمِل أن تكون لِلْعَهْدِ الخارجيِّ، والإشارةُ فيه إلى قَولِ اللهِ تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد ﷺ: 15][4].

ولَم تُضَفِ الأنهارُ إلى ضمير الجنَّاتِ بأَنْ يقال: (تَجْرِي مِن تحتها

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/354.
(2) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/107.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/354 - 355.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/69. والآلوسّي، روح المعاني: 1/204.

أنهارُهَا)؛ لِما في الإضافة مِن كُلْفَةٍ في الكلام، ولِلتَّنْبيه على أَنَّ نعمةَ الأنهارِ مُسْتقلَّةٌ، فيكون التَّمَتُّع بها تنعُّمًا مستقِلًّا لا تبعًا لِلْجَنَّاتِ[1].

ومالَ ابنُ عَاشُور إلى أنَّ تعريفَ الأنهار إنَّما هو لِلتَّفنُّنِ؛ لئلَّا يُعادَ التَّنكيرُ مرَّةً أخرَى بعد تنكيرِ ﴿جَنَّٰتٌ﴾[2].

**بَلَاغَةُ الِاحْتِرَاسِ فِي قَوْلِهِ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾:**

نَعِيمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دَائِمٌ، لَا يَتَنَغَّصُ بِاخْتِمَالِ انْقِطَاعِهِ

قولُ اللَّه تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حالٌ منصوبَةٌ، جيءَ بها لِلاحتراسِ؛ دَفْعًا لِتوهُّم انقطاع النَّعيم المَذْكُور قبلُ، وسببُ هذا التَّوهُّم: ما جرت به العادةُ مِن انقطاع اللَّذَّات في الحياة الدُّنيا؛ فإنَّ العبدَ في الحياة الدُّنيا مهما كثرَت اللَّذَّاتُ عندهُ وعَظُمَتْ؛ فإنَّ استحضارَهُ زوالَهَا يُنغِّصُ عليه كمالَ الاستمتاعِ بها، فبيَّن اللَّه سبحانه أنَّ ذلك مُنْتَفٍ في نعيم الجنَّةِ، وأنَّه نعيمٌ دائمٌ.

**دِلَالَةُ وَصْفِ الْأَزْوَاجِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾:**

طَهَارَةُ الْأَزْوَاجِ الْكَامِلَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي الْجَنَّةِ

وصفُ الأزواجِ بكونِها مُطَهَّرةً في قولِ اللَّهِ تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ يُرادُ به مدحُهُنَّ في ذواتِهنَّ، وزيادَةٌ في تحريضِ الْعِبادِ على تحصيلِ الأوصافِ المرشِّحَةِ لدخولِ الجنَّةِ والتَّمتُّعِ بملاذِّهَا.

وفي العدُولِ عَنِ الوصفِ بالجمع (مُطَهَّرَات) إلى الوَصْفِ بالمفردِ ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ إشعارٌ بأنَّهنَّ في أصلِ الطَّهارةِ كالنَّفْسِ الواحِدَةِ[3].

**نُكْتَةُ تَنْكِيرِ ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾:**

نُكِّر ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ من قول اللَّه تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لإرادةِ التَّفخيمِ والتَّعظيم[4]، ويُقوِّي هذه الدِّلالةَ، ويُؤيِّدُهَا ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُهَا: بناءُ ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ على الزِّنَة الدَّالَّةِ على الامتلاءِ، كما

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/355.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/355.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/278.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/16.

تُشْعِرُ بذلك الألفُ والنُّونُ[1]؛ إذِ الرِّضوَانُ: اسْمُ مُبَالَغَةٍ في مَعْنَى الرِّضَا[2]، ولا سيَّمَا أنَّ في بنائِهِ زيادةً، والزِّيادَةُ في المبنَى تدلُّ على الزِّيادَةِ في المعنَى.

إِخْـــلَالُ اللـهِ تَـعَـالَى رِضْـوَانَـهُ عَـــلَى عِـبَـادِهِ أَعْـظَـمُ مِـنْ إِثَابَتِهِمْ بِالْجَنَّةِ

ثانيهَا: إبهامُ الرِّضوانِ ثُم بيانُ مَصْدَرِهِ وأنَّه ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: فيه إشعارٌ بِشَرَفِ هَذَا الرِّضَا؛ إذْ أُضِيفَ إلى الاسمِ الأحسَنِ[3].

ثالثُهَا: الإظهارُ في موضع الإضمار، وذلك أنَّ الظَّاهرَ أَنْ يَرِدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (وَرِضْوَانٌ مِنْهُ) أي: مِنْ ربِّهم، المذكور في قوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، ونكتةُ ذلك: ما في الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهِ﴾ مِنَ الإيماء إلى تعظيمِ الرِّضوانِ، حيث إنَّ الاسمَ الأحسن ﴿ٱللَّهِ﴾ دالٌّ على صفاتِ الجلال والجمال والكمال[4].

وذكرُ رضوانِ الله تعالى بعد ذكر الجنَّة ونعيمِهَا تَرَقٍّ في ذكر ثوابِ الله سُبحانه الذي أعدَّهُ لأهل التَّقوى؛ فإنَّ إحلالَ الله تعالى رضوانَهُ بعبادِهِ أعظمُ من الجنَّة، كما قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى؟ يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[5].

**تَوْجِيهُ الْمُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: 72]:**

أَقَلُّ الْقَلِيلِ مِنْ رِضْـــوَانِ اللـهِ تَعَالَى أَعْظَمُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَكْبَرُ

ورد في آل عمران قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، وفي سورة

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/278.
(2) المُنَاويّ، التَّوقيف: (رضي).
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1141. وطنطاوي، التَّفسير الوسيط: 2/52.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/184.
(5) البخاريّ، صحيح البخاري، الحديث رقم: (6549)، ومسلم، صحيح مسلم، الحديث رقم: (2829).

التَّوبة قال الله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 72]، ووجهُ التَّغايُرِ بينَهُمَا: أنَّ آية آلِ عمرانَ بُدئت بقوله: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۖ﴾، فكان السِّياقُ دائرًا على إظهار الفرق بين متاع الحياة الدُّنيا وبين ما عند الله تعالى مِنَ النَّعيم المقيم الدَّائم، فناسبَ ذلك العطفُ بالواوِ الدَّالَّة على مُطْلَق الجمع بين كُلِّ ما عند الله تعالى معَ قَطْعِ النَّظرِ عن الفرقِ بين نعيمٍ وآخرَ، فلم يُذكر لفظُ ﴿أَكْبَرُ ۚ﴾ [التوبة: 72].

بِخلاف آية التَّوبة، فقد صُدِّرت بقوله تعالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 72]، فلمَّا كان أقلُّ القليلِ من رضوانِ الله تعالى أكبر من جميعِ النِّعمِ الَّتي تقدَّمتْهُ؛ ناسبَهُ عدمُ عطف ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ [التوبة: 72] على ما سبقَهُ فلم يُنصَبْ، ورُفِعَ على الابتداءِ، ومِن ثَمَّ جاءَ قولُه سُبْحَانه: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ﴾ [التوبة: 72][1].

## بَلَاغَةُ التَّذْيِيلِ فِي قَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾:

ثَوَابُ اللهِ تَعَالَى لِأَهْلِ التَّقْوَى، يتفاوت بِحَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ فِيهَا

قولُ الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ هي اعتراضٌ بين قوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾، وقوله بعدُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾؛ سيقَ لبيانِ وعْدِ الله تعالى، والمعنى: أنَّه سبحانه عليمٌ بالَّذين اتَّقوا وبمراتبهم في التَّقْوَى، وعِلْمُهُ بذلكَ يقتضِي مُجازَاتهم الجزاءَ الحسنَ[2].

وكونُ الجملةِ اعتراضًا هو بِالنَّظَرِ إلى ما قبلَهَا وما بعدهَا، وإذا نظرنَا إلى الآية باعتبارِهَا وحدةً متكاملةً؛ كانَ قولُه سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ تذييلًا، وقَدْ صُدِّرتْ جملةُ التَّذييلِ بِالاسْمِ الأحسن ﴿وَٱللَّهُ﴾ لنكتَتَيْن:

(1) سعد عبد العظيم، استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، ص: 294 - 295.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/184.

إحداهما: قَصْدُ اسْتِقْلَالِ الجُمْلَةِ؛ لتَكُونَ بمنزلةِ المَثَلِ، فيكون التَّذييلُ جاريًا مجرى المثلِ[1].

والأخرى: تَرْبِيَةُ المَهَابَةِ في قُلُوبِ المُتلقِّين للخطابِ الإلهيِّ، والإشْعَارُ بِعَظَمَتِه سبحانه[2].

وفي ذِكْرِ الاسم الأحسن ﴿وَٱللَّهُ﴾ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ إظهارٌ في موقعِ الإضْمَارِ؛ إذ مقتضَى الظَّاهر أَنْ يُقال: (وهو بصيرٌ بالعبادِ)، لكونِه سبقَ التَّصريحُ به قبلُ في قوله: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، ونكتةُ ذلك: بيانُ أنَّ جزاءَهُمْ إنَّما هو على قَدْرِ التَّقوَى التَّي عَلِمَهَا اللهُ تعالى مِنْهُمْ؛ فهو سبحانه (اللهُ) الَّذي له الحكمةُ البالغَةُ[3].

وتعديةُ الوصفِ ﴿بَصِيرٌۢ﴾ بالباء في قولِه: ﴿بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ إشعارٌ بتضمُّنِه معنى: عليم.

**تَوْجِيهُ المُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ﴾:**

**شِدَّةُ مُنَاسَبَةِ الْفَوَاصِلِ الْقُرْآنِيَّةِ لِمَضَامِينِ الآيات**

وردَ ختامُ هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾، وجاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: 44] مفصولًا عَمَّا قبلَهُ ومؤكَّدًا بـ ﴿إِنَّ﴾، ووجهُ المغايرةِ بينهُمَا: أنَّ الخطاب في آلِ عمرانَ كان أكثرَ تعلُّقًا بالمؤمنينَ، وهم غيرُ شاكِّين ولا منكِرين، فنساب ذلك خلُوَّ الجملة مِنَ التَّوكيد؛ لعدم الحاجةِ إليه، ولمَّا كان قولُه: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ جملةً خبريَّةً، وقولُهُ: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ جملةً خبريَّةً أيضًا، وبينهُمَا جهةٌ جامعةٌ: هي أنَّ المتكلِّمَ اللهُ ﷻ؛ كانَ الوصلُ بالواو أنسبَ؛ لأنَّ بينَ الجملتَين توسُّطًا بين الكمالَيْن.

أمَّا آية غافر؛ فقد صُدِّرت بقوله ﷻ: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾، فلمَّا كان المخاطَبُونَ منكرينَ - لأنَّ الخطاب كان لفرعونَ وقومِهِ - ناسبَهُ التَّأكيدُ، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾، ولمَّا كان المرادُ تعليلَ الحكمِ؛ كان الفصلُ متعيِّنًا، فلم تَرِدِ الواوُ في صدرِ الجملةِ[4].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/184.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1141.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/279.
(4) سعد عبد العظيم، استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، ص: 295.

## ❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### النَّبَأُ وَالْخَبَر:

ظاهر صنيع كثيرٍ من أصحاب المعجمات أنَّهما مترادِفَانِ[1]، ولعلَّه جَرْيٌ مِنْهُمْ على المسامحةِ؛ تقريبًا لِلْمَعَاني، بل إنَّ بعضَهم نصَّ على ترادُفِهِمَا[2].

وفرَّق بَيْنَهُمَا جماعةٌ مِن أهلِ العلم – وهو التَّحقيقُ – وذلك أنَّ النَّبأَ هو الخبرُ الَّذي له خَطْبٌ وشأنٌ، ومِنْهُ سُمِّي النَّبِيُّ نبيًّا؛ لأنَّه يوحَى إِلَيْهِ، والوحي: خَبَرٌ عظيمٌ له شأنٌ، بخلاف الخبرِ فهو أَعَمُّ: يُطْلَقُ على ما له شأنٌ وما ليس كذلك[3].

### الْعِبَاد وَالْعَبِيد:

جاءت اللَّفْظَتانِ في القرآن الكريم جمعًا لكلمة (عبدٍ)، كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 186]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران: 182].

و(العِبَادُ) جمعٌ للعبد بمعنى: العابد لربِّهِ جلَّ وعلا، و(العبيدُ) جمعٌ للعبدِ الرَّقيقِ المملوكِ، وقد أُضيفَ إلى الله سبحانه؛ لكونِهِ المالكَ الحقَّ لرقابِ النَّاسِ، وهو المستحقُّ للعبادةِ وحدهُ.

أمَّا لفظُ (العِبَاد)؛ فإنَّه لم يُستعمَل في الذِّكْرِ الحكيم إلَّا في العابدِينَ المُخْلِصِينَ، ورُوُدُه في مواضعَ منهُ مضافًا إلى غير الله تعالى؛ فلأنَّ المقصودَ التَّنبيه على المساواةِ بين العبيدِ المملوكِينَ ومَالِكِيهِم؛ إذِ الجميعُ عِبَادٌ لله جلَّ وعلا، كما في قوله سبحانه: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: 32]، وفي هذا إيماءٌ إلى أنَّ الواجبَ أن يُعامَلَ العبيدُ المَمْلُوكُونَ معاملةَ غيرِهم من الأحرار؛ لِمَا يتَّصفُون به من صلاحٍ واستقامةٍ على الشَّرْعِ المُنَزَّلِ[4].

---

(1) الخليل، العين: (خبر). والأزهريّ، تهذيب اللُّغة، والجوهريّ، الصّحاح، والفيروزأبادي، القاموس المحيط: (نبأ).

(2) الزَّبيدي، تاج العروس: (نبأ) و(خبر).

(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 8/227. وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 2/306. والشِّنقيطيّ، العذب النَّمير: 1/476، 2/104، 138، 607.

(4) محمَّد داود، معجم الفروق الدّلاليَّة، ص: 488 - 489.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»